اثبات الروح بالمباحث النفسية

دحض شبهات تأثير الوسيط بقوته الذاتية

(١٠)

لما تحقق المنكرون للعالم الروحاني ان نظرية التدليس والاستهواء لا تنهض لتعليل المشاهدات التجريبية للمباحث النفسية ولا تقوى على مقاومة تيار ظواهرها التي تظاهرت في الشهادة لها المشاعر والآلات المعدنية وخشوا ان هم أصروا على هذا الضرب من المكابرة أن يحاط بهم من كل جهة تقهقروا الى خط دفاع ثالث وجمعوا صفوفهم استعداداً لمعركة فاصلة تساحوا لها بفروض جديدة. فزعموا ان تلك الظواهر كلها لا تدل على وجود عالم روحاني تظهر لنا آثاره بواسطة ذوي الاستعداد الخاص لاظهارها ولكنها مظاهر مختلفة لقوى الوسيط نفسه . فقد يظهر الوسيط بشخصية مخالفة لشخصيته فيخيل للمجربين ان روحاً استولت عليه وتكلمت بلسانه والحقيقة ان هذه الحالة مظهر من مظاهر الامراض العصبية كحالة المرضى الذين وصف اطوارهم الباحثون في تلك الامراض كالاساتذة جانه وريجر وجس وميرس وغيرهم (انظر المقتطف صفحة ٤٦٨)

والوسيط الواقع في تلك الحالة قد يخبر بما لا يعرفهُ هو ولا يعرفهُ المجربون فيتوهم من يراهُ ان روحاً تتكلم بما غاب عن الناس والحال كما يقول المقتطف في الجزء الماضي انهُ يعبر عن « معلومات محفوظة في عقلهِ الباطن الذي اطلق عليهِ الاستاذ ميرس اسم Subliminal self اي تحت عتبة الشعور واطلق عليهِ شوتهوور وهارتمان اسم اللاشعور Unconscious تريد بذلك ان بعض الناس يسمعون ويقرأون من امور كثيرة فترسخ في عقلهم الباطن ولكنها لا ترسخ او لا يبقى ذكرها في عقلهم الظاهر الذي يستولي عليهم وهم في حالتهم الطبيعية فاذا مرضوا او ناموا بالاستهواء واصابتهم الغيبوبة تذكروا ما هو راسخ في عقلهم الباطن وذكروهُ »

فان قالت هؤلاء ان انواع المشاهدات الروحية لا تنحصر في ظهور الوسيط بشخصية غير شخصيتهِ ولا في اخبارهِ بالغيب بل تتناول ضروباً من الخوارق

يطول فيها العد. ردوا عليك بمثل ما قالهُ المقتطف في ذلك الجزء نفسه : « لا يخفى علينا ان بعض ما روي عن الوسطاء لا يعلل بما تقدم ولكن الذين خدعوا بعض الغرائب المروية وجدوا فيها بعداً عن الحقيقة مقصوداً او غير مقصود وانها اذا ردت الى حقيقتها زالت منها كل غرابة »

المنكرون في كل زمان ومكان رددوا هذه العبارات كلما خوطبوا في المسائل الروحية . فقالها كروكس ورسل والليس وشارل ريشيه وبترهوف وزولنر ولومبروزو ولجنة الجمعية العلمية الانجليزية التي دعيت لفحص المشاهدات النفسية وتقديم تقرير رسمي عنها. وقالها الالوف من العلماء والمفكرين في كل بلد متمدن. ولكنها ذابت وتلاشت عند ما بحثوا هذه المشاهدات بانفسهم فانقلبوا الى صفوف انصارها ودافعوا عنها بكتاباتهم وخطبهم حتى اصبح لها الدولة اليوم . فالامر كما يقول الدكتور (ارثر كونان دويل) ينحصر بين فرضين اثنين لا ثالث لهما : فإما ان يكون وباء من الجنون اتهم القارتين في جيلين متواليين وإما ان نكون حيال فتح جديد افاضهُ الله على الناس ليكمل لهم به نقص الدليل العقلي في اثبات الروح والخلود بشاهد من الحس كما تتطلبهُ الفلسفة العصرية

وانا ازيد على هذا قولي : لو كانت مشاهدات الوف من العلماء والنبهاء مجتمعين ومنفردين في جيلين متواليين تدحض بمثل هذا الاسلوب لبطل كل علم في الارض الا ما يراهُ الانسان بنفسهِ . فيستطيع احدنا مثلاً جرياً على هذا الاسلوب ان ينكر كل ما ذكرهُ المقتطف عن العلماء جانه وريجر وجس وميرس وازام من تجاربهم في الشخصيات المتعددة ويستطيع ان يورد عليها كل ما يوردهُ المنكرون على المشاهدات الروحية من التشكيكات المتنوعة . واذا كان المقتطف يثق بهم ويعتمد على ما ينقلونهُ عن الشخصيات المتعددة لدحض الوساطة الروحية فلم لا يثق بهم فيما يقولون هم انفسهم عن المشاهدات الروحية . أليسوا هم اولى الناس بتعليلها بالشخصيات المتعددة باعتبار انهم اكبر الدارسين لها والواقفين على اطوارها . انهم لم يفعلوا ذلك بل رأيناهم يشهدون بصحة الظواهر الروحية وبانها ليست مما يعلل بالشخصيات المتعددة. فقال الدكتور جانه في كتابهِ (الحركة النفسية الذاتية) صفحة ٣٧٦ بعد ذكر الاسبرتسم :

« المذهب الذي اوجزنا الكلام عنهُ هنا يستحق درساً مدققاً ومناقشة اصولية . وان التشكيك والازدراء اللذين يحملان على انكران كل ما لا يفهم وعلى ترداد كلمتي غش وتدليس دائماً وفي كل مكان ليس لهما محل هنا ولا حيال ظواهر المغناطيس الحيواني . فان الحركة التي دفعت الى تأسيس خمس جريدة في اوربا وحملت على الاخذ بها عدداً عظيماً من الناس لا يصح ان تعتبر قليلة القيمة »

اما ميرس وجمس فالاول منهما كان اكبر اعضاء جمعية المباحث النفسية في لوندره وفي كتابهِ المسمى الشخصية الانسانية الذي نقل المقتطف عنهُ ما قالهُ في الشهر الماضي عشرات من الشهادات في صحة التجارب الروحية . والثاني منهما كان رئيساً لجمعية المباحث النفسية المذكورة وقد نقلنا شهادتهُ لهذه المباحث في العدد الصادر من المقتطف في شهر يناير من السنة الماضية

ويحسن بنا ان نضيف هنا الى شهاداتهم شهادة عالم كبير من الباحثين في مسألة الشخصيات المتعددة هو الاستاذ الدكتور (بينيه) Binet مدير المعمل البسيكوجي في جامعة الطب الفرنسية . فقد قال في كتابهِ (تحولات الشخصية) في صحيفة ٢٩٨ بعد ذكرهِ بعض التجارب الروحية :

« هذه البراهين كافية لان يتمكن مذهب كالاسبرتسم من ادهاش الناس اجمعين ومن كسب الوف مؤلفة من المصدقين »

هذه شهادات نخبة العلماء الذين استشهد المقتطف باقوالهم في مسألة تعدد الشخصيات وقد زدنا عليها شهادة الاستاذ (بينيه) وهو من اكبر الاخصائيين في تلك المسألة فبأي مرجح نأخذ باقوالهم في مسألة تعدد الشخصية ونرفض تجاربهم في المباحث النفسية ؟

***

قلنا ان في المشاهدات الروحية ما لا يمكن تفسيرهُ بتعدد الشخصيات ولا بالعقل الباطن ولنضرب لذلك امثلة قليلة من ملايين كثيرة من تجارب بحثت كلها بحثاً علمياً ومُرِّي عليها ادق اساليب التمحيص المعروفة منها تكلم الوسيط باكثر من عشر لغات لا يعرفها هو ولا احد من المجربين كالعربية والهندية والجاوية

والصينية يتكلم بها كاحد ابنائها بشهادة اهل تلك اللغات الذين يستحضرون للتفاهم مع الروح المتكلمة . وقد كتب المستر ادموندس رئيس مجلس الشيوخ الامريكي ان ابنتهُ (لورا) كانت تتكلم بخمس عشرة لغة كاحد ابنائها وكان من شدة شغفهِ بهذه المباحث يعرضها للمجربين فهل يعقل ان عقلها الباطن يحفظ تلك اللغات كلها على غير شعور من عقلها الظاهر ويشهد ابوها وكان زعيم اكبر هيئة دستورية في العالم انها لم تتعلم غير الانجليزية والفرنسية ؟ وان عقل ذلك فهل يعقل كتابتها لتلك اللغات كلها بخطوط اصحابها المتوفين ؟

ومنها ادخال المواد الجامدة الى غرف التجارب المقفلة من خلال الحوائط ونقلها اياها من مئات الاميال واتخاذ الاشياء الجامدة في العناديق الحديدية المقفلة المغطاة امام اعين المجربين بدون ان تلمسها وقد نقلنا شيئاً من ذلك في مقالاتنا الماضية فهل تفسر هذه الخوارق بتعدد الشخصيات او بالعقل الباطن ؟

ومنها ظهور ايد وارجل وانصاف اجساد واجساد تامة التركيب تتكلم وتسلم على الحاضرين بيدها وتسمح لهم بفحصها بكل ضروب الفحص وتكتب لهم بيدها وتترك لهم قوالب من البرافين لبعض اعضائها وتهديهم بخصل من شعرها وبقطع من ثيابها فهل يفسر هذا ايضاً بتعدد الشخصيات او بالعقل الباطن ؟

كل هذه المشاهدات وهي ملايين مما يرى عليهِ اقسى ضروب التمحيص لو عرضتها على الماديين واخبرتهم بان الذين شاهدوها هم من اخوانهم العلماء الذين يفوقونهم علماً ورزانة اعرضوا بجانبهم ولم يجدوا وسيلة احسن من نكرانها جملة وتفصيلاً والادعاء بان اولئك العلماء (وهم الوف) قد خدعهم المشعوذون واستهواهم الدجالون . فان اتيتهم بشهادة عشرات الالوف من الاطباء والمهندسين والصحفيين والكاتبين والشاعرين رموا بها عرض الحائط ايضاً وزعموا ان هؤلاء ينقصهم التمحيص العلمي الصارم وكبر عليهم ان يأخذوا بتجارب من دونهم . فان قلت لهم فتفضلوا انتم بالبحث باتفكم اجابك بعضهم بان هذا لا يهمهُ اصلاً كما فعل الاستاذ هكسلي . وأجابك البعض الآخر بان حضر تجربة لوسيط (مأجور) فظهر لهُ انهُ يحاول الغش فلم يعد بعدها للتجربة ووقر في نفسهِ ان كل الوسطاء

مدلسون ! ورد عليك بعضهم بان هذه المشاهدات مناقضة للعلم المعروف .... كأن العلم المعروف لا يصح ان يرتقي عما هو عليهِ الى ابد الآبدين

ان هذا الاسلوب في دحض الاستكشافات الجديدة لا يعد من الحيطة العلمية ولا من دلائل العلمية بل يعتبر من قبيل وضع العقبات امام العلم واحتكار مسئلة الوجود الكبرى لعدد محصور من نواميس ناقصة اظهر النقد العلمي الحديث انها مسلمات تحكمية كالمسلمات المنطقية

***

ولقد بلغ الغلو ببعض العلماء الماديين انهم اخترعوا نظريات لتقليل المشاهدات الروحية لو ثبتت لكانت اعجب من ظهور ارواح الموتى جهاراً وسيرها بين الناس في الطرقات كقولهم ان القوة العصبية للوسيط قد تخرج منهُ في بعض الاحوال وتحدث أعمالاً مادية محسوسة . فما هي هذه القوة العصبية ؟ وعلى أي دليل علمي استندوا في زعمهم بان هذه القوة قد تخرج من الجسم لتضحك على لحى المجربين ؟ وما حظها من أدعائها بانها روح بعض الميتين ؟

واراد الدكتور ادوارد هارتمان الالماني ان يعتدل فلم يقل بخروج القوة العصبية بل قال بخروج الروح من جسد الوسيط وهو متشنج واتيانها لتلك الخوارق فيظنها المجربون روح احد المتوفين وما هي الاَّ روح لخيهم الوسيط. كما ذكر ذلك في كتابهِ (انيميسموس اند سبريتسموس) الذي رد بهِ على الوزير الروسي اكزاكوف . فلما سئل ومن اين لروح وسيط جاهل أن تأتي بالفلسفة العالية وأنباء الغيب ؟ فاجاب بقولهِ ان الروح الانسانية نفحة من الخالق عزوجل فاذا تجردت اتصلت بهِ اتصال الفرع بالاصل وعلمت ما كان وما سيكون الى ابد الآبدين

فرد عليهِ اكزاكوف بقولهِ : ان هذه الارواح التي تظهر للمجربين تدعي انها ارواح موتى معينين فهل يعقل ان روح الوسيط بتجردها عن عالم الرعونات البشرية واتصالها بالذات العلية الكلية تتصف بالكذب الصراح وهي في ذلك الطور من الجلال السماوي ؟ اما كان يجدر بها وهي تتجلى في ذلك العالم العالي بذلك العلم المطلق ان تقول الحق وتهدي الناس الى الصواب ؟

وقد زعم بعض العلماء ان هذه الخوارق تحدث من الروح العامة التي تتكون من مجموع توجهات المجربين واتحاد قواهم العصبية على احداثها . وهذه شبهة لا تحتمل النقد ولا يصح ان تحشر في عالم الفروض العلمية فان القول بتكوّن روح عامة من قبيل الاستناد الى مجهول فما هي تلك الروح العامة . ومم تتألف . وكيف تتكوّن . وما حدود سلطانها . وما حظها من الايهام والتدليس . على ان المجربين اكثر ما يكونون مكذبين منكرين يريدون عدم ظهور اي خارق او ظهوره وكشف احبولة الوسيط . واذا امكن تعليل بعض المشاهدات الساذجة بهذه النظرية كتحرك خوان او انتقال متاع من مكان لمكان . فهل يمكن ان يعلل بها حدوث المشاهدات الكبرى كظهور الاشباح وتكلمها بلغات متعددة وكتابتها بها واحداث الخوارق التي سردنا عليك بعضها ؟

ان اوردت عليهم هذا قالوا كل ما لا يعلل بتلك النظرية يجب ان يلفظ الى زاوية الاهمال باعتبار انهُ من الشعوذة وانخداع المجربين ! (بخ بخ)

الامر جلل . وهناك ملايين من المشاهدات تتظاهر على نفي هذه الشبهات كلها . وما احتل الماديون واعداء هذه المباحث خط دفاع الا تعقبهم المجربون فيهِ وقهروهم عنهُ . فاذا كانت هذه المشاهدات ليست من الشعوذة ولا الاستهواء ولا من روح الوسيط ولا من مجموع ارواح المجربين فلم يبقَ الاَّ شبهة رجال الدين ومن نحا نحوهم من الاعتقاديين بانها آثار ارواح مجردة موجودة في الكون غير ارواح الناس او اعمال شيطانية الغرض منها التضليل وصرف الناس عن حقائق الدين . وهذا ما سننظر فيهِ في الجزء المقبل ان شاء الله

وما سألنيهِ حضرة المستفيد في صفحة ٥٢٣ من المقتطف فنجيبهُ عنهُ في ختام المقال التالي ايضاً

محمد فريد وجدي